



تاريخ بئر السبع وقبائلها تأليف عارف العارف قائم مقام بئر السبع

تعد منطقة بئر السبع أكبر مديرية في أرض فلسطين لأنها
تتضمن على نصف مساحة أراضيها ، وهي بلاد شاسعة الجوانب
بعيدة الأطراف ، وليس لها حدود طبيعية تفصلها عن شبه جزيرة
طور سيناء وبلاد شرق الأردن

وتقع هذه الناحية على طريق القوافل العربية ، مثل قبائل
سبأ ومعين وحضر حوت وعمود التي كانت تأتي إلى أسواق كنعان
واسرائيل وأرام لمرض البضائع المختلفة ، كما كانت طريق الجيوش
البابلية والآشورية والفارسية واليونانية والرومانية الزاحفة لفتح
الديار المصرية ، وكما كانت طريق الجيوش المصرية المتوغلة منذ
زمن بعيد في الديار الشامية والمراقية الشمالية .

يفتح المؤلف كتابه « تاريخ بئر السبع وقبائلها » بذكر
الروايات التي وردت في الكتب القديمة عن بئر السبع وعن
الشان الخطير الذي كان لتلك الأجزاء في عهد بني اسرائيل الأول
أي من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس ق . م . أي من
عهد وفاة موسى إلى زمن يختصر ملك بابل .

وقد اعتمد المؤلف في هذا البحث على ما ورد في أسفار
الكتاب المقدس وحده مع أننا نعتقد أنه لو راجع أيضاً
الروايات القليلة المبعثرة في كتب المشنا والتلمود وذلك أمر سهل
عليه لأنه يتقن العبرية — لوقف فيها على أخبار مهمة عن بني
اسرائيل والعرب في تلك المنطقة من جنوب فلسطين .

ونلاحظ أيضاً أنه كان حرياً بالمؤلف أن يذكر اسم هذه
المنطقة في الآداب العبرية القديمة ، فقد سميت في التوراة باسم نجيب

أي الجنوب ، وعرفت في الطور الثاني من حياة بني اسرائيل
بفلسطين أي بعد رجوعهم من بابل باسم الداروم ، أي الجنوب
أيضاً وعرفها العرب المسلمون بهذا الاسم أيضاً في عصر البعثة
الاسلامية وزمن الخلفاء الراشدين ، فقد ورد في سيرة ابن هشام أن
أسامة بن زيد بن حارثة أرسل على رأس جيش صغير إلى الشام
وأمر بأن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين
ولب موضوع الكتاب قد تضمنته البابان الثالث والرابع ،

لأن المؤلف يبحث فيهما عن الأحاديث والأخبار المتعلقة
برجال القبائل في بئر السبع ، ويتكلم عن الحروب التي وقعت بينهم
وبين القبائل القريبة منهم والثانية عنهم وقد أبان المؤلف في هذين
البابين عن مقدرة فائقة على تنظيم المعلومات الغزيرة التي جمعها
بمتابعة ودأب من أفراد القبائل الضاربة هناك ، ففتح لنا بذلك
عالمًا عظيم الشأن . كنا نجمله مع قربنا منه واتصالنا به ، وإذا كان
المستشرقون قد جاءوا إلينا بأخبار عن حياة القبائل في بئر السبع
فإن كل ما ذكره منها لا يكاد يذكر بالنسبة إلى ذلك القبيض
الدافق من المعلومات التي قدمها عارف بك العارف ، وذلك يرجع
إلى أنه من أهل البلاد وحاكم على البدو

ويجد القارئ في هذين البابين كثيراً عما ورد في المصادر
العربية عن أيام العرب في الجاهلية ، كما يجد فيها صورة مصغرة
لحياة بني اسرائيل الفطرية في عصر القضاة قبل أن يأخذوا
نصيحتهم من الحضارة في أرض كنعان .

ونود أن نلاحظ أن كثيراً مما ذكره رجال البدو لمؤلفنا
بعيد عن الحقيقة التاريخية وليس إلا محض خيال لأنهم لم يدونوا
شيئاً ولم يكتبوا حوادثهم ولا قيدوا أنسابهم وإنما هي روايات
ينسجها خيالهم وفقاً لمصلحتهم وتبعاً لاطماعهم
فا يقولون من أن أغلبهم أو أن جميعهم وعلى بكرة أبيهم إنما

وأفانيس الكثير من رجالات الأعراب من واه مختلفه
بلهجاتهم الطبيعية ورطاباتهم الفطرية دون أن يتعرض لها بشيء
من الزيادة أو الحذف .

ثم يأتي بعد ذلك الباب الخامس الذي يشتمل على تاريخ بئر
السبع على عمر الأحقاب من أقدم الأزمنة التاريخية إلى يومنا الحالى
ونمة أمر آخر له خطر ، وهو أن المؤلف الذى يتقن العربية
والعبرية لم يقع فى ذلك إخطأ الفاحش الذى وقع فيه غيره من
المؤلفين الشرقيين الذين يجهلون اللغات السامية ، وهو أنهم
لا يضبطون كتابة أسماء الأماكن وأسماء الأعلام كتابة صحيحة
كما ينطق بها أهل الشرق بل يكتبونها كما هى مدونة عند الغربيين
الذين لا يستطيعون نطق الأسماء الشرقية نطقاً صحيحاً دقيقاً

أما مؤلفنا فكان فى أغلب هذه الاحوال محسناً لكتابة هذه
الالفاظ بضبطها الصحيح .

ولنا فى هذا النوع بعض ملاحظات على مؤلفنا منها أنه لم
يكن يجوز لعالم مثله أن يستعمل اسم البتراء دون أن يشير إلى
اسمها الحقيقى القديم الذى منه اشتقت . كلمة بتراء المحرفة ، فالمؤلف
يعرف أن البتراء التى تعرف اليوم بوادى موسى كانت عاصمة لبني
أدوم قديماً ثم للأنباط فى العصور المتأخرة ، وقد عرفت باسم سلع
ومعناه : الصخرة ، ثم جاء اليونان وترجموا هذه الكلمة إلى
اليونانية وأطلقوا على هذا السكان اسم بترا أى الصخرة أو الحجر
وكان عالمنا المرحوم أحمد زكي باشا قرأ لبعض الكتاب
كلمة بتراء بدلاً من سلع هاج وماج لانه يعرف أن العرب أنفسهم
كانوا يستعملون فى القديم كلمة سلع لا كلمة البتراء ، وقد أشار الى
ذلك فى مجلة مقالات نشرت بجريدة الاهرام قبل وفاته بزمان قليل
وفى الباب السادس يبحث فى حالة بئر السبع فى وقتنا
الحاضر ، ومع أنه موجز فانه شامل كامل لان المؤلف من الافراد
المعدودين الذين خبروا البلاد خبرة وافية .

ولا ننسى أن نشير الى تلك الخريطة المفصلة لفضاء بئر السبع
فهى بلا شك أول خريطة علمية دقيقة مبينة لمواطن القبائل
العربية ومعينة لاسماء الامكنة فى تلك البيداء الشاسعة الاطراف .

اسرائيل رنفسوره (أبو زؤيب)
أساذ اللغات السامية بدار العلوم

(طبعت بمطبعة الرسالة والرواية بحارة المدرستين - شارع المهدي)

نرحوا إلى هذه الديار من الجزيرة العربية ليس إلا نظرية سادجة
لا يقبلها عقل الباحث السليم ، فان مما لا شك فيه أن عدداً
«عظيماً» من هذه البطون ليس إلا سلالة تلك القبائل التى عمرت
تلك الديار منذ أزمان بعيدة وأحقاب طويلة بينهم بلا شك بقية
تلك القبائل التى كانت فى هذه المنطقة قبل الفصح الاسرائيلى مثل
المالقة والمدنيين والادوميين ، ثم منهم بقية البطون الاسرائيلية
مثل بني شمعون ودان ويهوذا ، وكذلك لانسى وجود أرهات من
الانباط فى هذه النواحي القريبة من شبه جزيرة طورسينا ، ولا
نسى كذلك أن هناك أنغاداً من قبائل عينية قديمة وصلت من
أقصى بلدان الجزيرة إلى هذه الاماكن منذ زمن قديم

ولا شك أن العرب أخذوا يتسرون إلى هذه المناطق قبل
الاسلام بعدة قرون واستوطنوا بعض أمانكها كما استوطنوا
النواحي الاخرى من صحراء سوريا ونحوم بلاد العراق والشام .
وقد ذكر المؤلف ، وحق له أن يذكر ، أن هناك بعض
قبائل كُنت بصلة إلى الافرنج الصليبيين .

ونحن نعتقد أن البحث الدقيق فى اللهجات المختلفة يساعد
الباحث على كشف اللغز عن هذه المشكلة الجنسية العويصة
التي تلبكت فيها الاجناس البشرية ، وقد نرى فى بعض الالفاظ
المستعملة هناك بقية باقية من الاستعمال العبرى القديم مثل كلمة
تقابة عند البدو فى هذه الأنحاء فهى تدل على الماير والمسالك
النمية فى الجبال لاما وردت فى مخطوط عبرى يرجع إلى القرن
السابع . ق . م

وقد أحسن المؤلف بذكره نماذج من شعر أعراب القبائل
ولكن فانه أن يأتي بمثل ذلك من رطاباتهم العربية ، ولو أنه فعل
لقدم خدمة جليلة للبحث العلمى اللغوى حيث كان يمكن أن
تقف على لهجاتهم وأن تدرسها دراسة علمية وتقارن بينها وبين
اللهجات العربية الاخرى وتبين ما فيها من الالفاظ الغريبة التى
جاءتها بلا شك من اللغات السامية الاخرى .

ولا نستطيع أن نكف أنفسنا عن التساؤل : لماذا سفل المؤلف
الأحاديث التى سمعها من الأعراب صقلا عربياً صحيحاً وفصيلاً ؟
ولماذا لم يتركها فى لغتها البدوية الطبيعية والفطرية ؟ . . .

لذلك نلح على المؤلف ونشدد فى الالحاح أن لا ينسى حين
يقبل على طبع كتابه الطبعة الثانية أن يضيف إليه جملة أحاديث